مفهوم الربوبية

الحلقة الثانية

بقلم سعد ندا – مركز شئون الدعوة الإسلامية بالجامعة الإسلامية

قتال المقتصرين على توحيد الربوبية:

انتهيت في الحلقة الأولى إلى الاقتصار على الإقرار بتوحيد الربوبية لا يعصم الدم ولا المال– ودليل ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل المشركين الذين اقتصروا على الإقرار بتوحيد الربوبية، ودعاهم إلى الإقرار بتوحيد الألوهية ليجردوا العبادة لله وحده – كما قال سبحانه : {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَداً}[1] وكما قال تعالى: {لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِين يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ}[2].

وما كان قتال رسول الله صلى الهَ عليه وسلم لهؤلاء المشركين إلا ليكون الدعاء كله لله، ولاستعانة كلها بالله والاستغاثة كلها بالله، والتوكل كله على الله، والخوف كله من الله، والرغبة كلها إلى الله، والرهبة كلها من الله، والذبح كله لله، والنذر كله لله، وجميع أنواع العبادات كلها لله وحده لا شريك له.

ذلك أن من يقصر توحيده على إفراد الله تعالى في ربوبيته فحسب، يعتبر مشركاً، حتى يقر بتفرد الله غز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، ويقر بناء على اعترافه بخالقه المتصف بكل صفات الكمال والمنزه عن كل صفات النقص– بتفرده تعالى في ألوهيته، وبأن العبادات لا تصرف لأحد سواه، ثم يتبع هذا الإقرار باللسان– مما استقر في القلب– بالعمل، لأن القول وحده لا يكفى ولا يغنى شيئاً، وقد حذرنا الله تعالى من ذلك فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ؟ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ}[3].

وبقدر ما ينقص العبد من أنواع التوحيد، بقدر ما يحل في قلبه من أنواع الشرك بمقدار ما ينقص، ومن ثم فإن المقتصر على توحيد الربوبية لا يعتبر موحداً بل يعد مشركاً..

ولا غرابة في أن يختلط الإيمان بالشرك في قلب العبد، فالله تعالى قد أشار إلى ذلك في قوله {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ}[4] وفي قوله: {الَّذِين آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}[5].

---

1 سورة الجن آية 18.

2 سورة الرعد آية 14.

3 سورة الصف آية 2-3.

4 سورة يوسف الآية 106.

5 سورة الأنعام الآية 82 .

فمن الناس من يؤمن في جانب ويشرك في جانب، والشرك في أي نوع من أنواع التوحيد مبطل للعمل الملابس له. يقول تبارك وتعالى: { **وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**} [6]، كما أن المشرك ما لم يتب من شركه يحرم الجنة، لأنه ظالم، يقول تعالى :{**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**} [7]، ويقول:{**نَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**} [8].

وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاتل المشركين من العرب الذين اقتصروا على الإقرار بتوحيد الربوبية، لأنهم بإقرارهم هذا لم يصبحوا موحدين معصومي الدم والمال، فإنه من باب أولى ينبغي قتال من لا يقرون بالربوبية إطلاقاً، مثل الملاحدة كالشيوعيين والطبيعيين والدهريين ومن على شاكلتهم في أي زمن يكونون، وبأي اسم يتسمون.

ولكن القتال للمقتصرين على توحيد الربوبية وعلى منكريها لا يكون إلا بعد بيان الحق ودليله مما قال الله وقال رسوله صلى الله عليه وسلم، ودعوتهم إليه فترة يبين بعدها أنهم يردون الحق ويأبون قبوله.

وقد مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو المشركين من أهل مكة الذين كانوا قد أقروا بتوحيد الربوبية ثلاثة عشر عاماً لينقلهم من الاقتصار على إقرارهم بتوحيد الربوبية إلى الإقرار بتوحيد الألوهية وإفراد الله تعالى بالعبادة لتصح أعمالهم وتقبل، فمنهم من هدى الله، ومنهم من حقت عليه الضلالة مصراً على قوله:{**أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا**} [9]. وقوله:{**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**} [10]. فأذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يترك وطنه الذي نشأ فيه وأحبه وتمنى لو استمر مقامه فيه، لأن أغلب القوم فيه لم يستجيبوا له في إخلاص العبادة لله وحده، وبقيت آلهتهم التي يرفعون إليها عباداتهم قائمة ماثلة بينهم في الوجود وفي القلوب ينحتونها بمعاولهم، ويصنعونها بأيديهم، ثم يرفعون نفس هذه الأيدي، لتلك الآلهة التي أنتجوها، يدعونها، ويرجونها، ويستعينون بها ويستغيثون، ويذبحون لها وينذرون، ويخافون منها، ويطمعون فيما يتصورون لديها من عطاء، ويذلون لها، ويخضعون عندها.

أذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ومن آمن به بالهجرة من الوطن الحبيب الذي لم يسد فيه تجريد العبادة لله تعالى بين أغلب قومه إلى المدينة المنورة حيث سهل في فترة وجيزة أن يعمها التوحيد الخالص.

أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم في تكوين الدولة الإسلامية الأولى مؤسساً إياها على عقيدة التوحيد

---

6 سورة الأنعام الآية 88 .

7 سورة لقمان الآية 13 .

8 سورة المائدة الآية 72 .

9 سورة الأعراف آية 69 .

10 سورة ص آية 5 .

فخرج بها أبطالاً، وقواداً، ومثلاً عليا، ورواداً أوائل، وأمة كانت جديرة بأن يصفها الله تعالى بقوله : **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}** [11] وبقوله: **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ}** [12] — ولم يعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ليطهر قومها من أرجاسهم إلا فاتحاً في العام الثامن من الهجرة.

وأما المشركون في مكة فقد استمروا عاكفين على أصنامهم – التي بلغت ثلاثمائة وستين صنماً ماثلة حول الكعبة طيلة إحدى وعشرين سنة من بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، منها ثلاث عشرة سنة مدة بقائه مبتعثاً في مكة، وثماني سنوات مهاجراً في المدينة. ولما شاء الله بالفتح انطلق الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الأبطال إلى مكة في عام ثمان من الهجرة، فدخل البيت وأخذ يطعن الأصنام في عيونها بقوس في يده ويقول: **{وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً}** ، **{قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ}** والأصنام التي كانت مثبتة بالحديد والرصاص تتساقط على وجوهها – ثم دخل الرسول صلى الله عليه وسلم الكعبة، فرأى صورة إبراهيم وإسماعيل يستقسمان بالأزلام– فقال: " قاتلهم الله – أما والله لقد علموا أنهما لم يستقسما بهما قط" فأمر بالصورة – مع آلهة داخل البيت – فأخرجت كما رأى بالكعبة حمامة من عيدان فكسرها صلى الله عليه وسلم بيده – ثم بث صلوات الله وسلامه عليه سراياه إلى الأوثان التي كانت حول الكعبة فكسرت كلها منها اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى – كما أمر منادياً ينادي بمكة "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنماً إلا كسره" [13] وبهذا حطم صلى الله عليه وسلم الوثنيات من الوجود ومن القلوب، وطهر حياة الناس من الشركيات والأرجاس، ونادى أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله" – فبدأ القوم – إلا من لم يرد الله أن يهديه – ينتقلون من الإقرار بتوحيد الربوبية إلا توحيد الألوهية وإفراد الله تعالى وحده بكل عباداتهم.

ومن ثم يبدو أن الرسول صلى الله عليه وسلم استمر إحدى وعشرين سنة معادياً لمشركي مكة، ومبغضاً لهم ومخاصماً – مع دعوتهم لتوحيد العبادة مدة ثلاثة عشر عاماً

– وحتى السنة الثامنة من الهجرة، وكان الفتح، ووحد المعاندون، فانقلبت العداوة محبة، والبغضاء مودة، والخصام ألفة، وأصبحوا بنعمة الله إخواناً.

وما كان قيام العداوة والبغضاء بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين إلا تنفيذاً لأمر الله جل وعلا في الإقتداء بإبراهيم عليه السلام ومن معه في قوله تعالى : **{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي**

---

11 سورة آل عمران آية 110 .

12 سورة البقرة آية 143 .

13 مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص 298، 303 طبعة دار العربية بيروت – لبنان 1375هـ.

إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ}[14].

وقد أسلفنا القول بأن المقتصر على توحيد الربوبية مشرك لا يعصم دمه وماله، بيد أنه يبين له الحق بالدليل لينتقل إلى توحيد العبادة لله تعالى فترة يتأكد فيها قبوله الحق أو رده، فإن رده قوتل كما قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين.

يقول الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني في جهاد المشركين: [15]" فإن قلت: فإذا كانوا مشركين وجب جهادهم، والسلوك فيهم ما سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في المشركين (أي من قتال وأسر وقتل واستتابة) قلت إلى هذا ذهب طائفة من أئمة العلم، فقالوا: يجب أولاً دعاؤهم إلى التوحيد، وإبانة أن ما يعتقدونه ينفع ويضر، لا يغني عنهم من الله شيئاً، وأنهم أمثالهم، وأن هذا الاعتقاد منهم فبهم شرك لا يتم الإيمان بما جاءت به الرسل إلا بتركه والتوبة منه، وإفراد التوحيد- اعتقاداً وعملاً – لله وحده وهذا واجب على العلماء. أي بيان أن ذلك الاعتقاد الذي تفرعت عنه النذور والنحائر والطواف بالقبور شرك محرم، وأنه عين ما كان يفعله المشركون لأصنامهم- فإذا أبان العلماء ذلك للائمة والملوك، وجب على الأئمة والملوك بعث دعاة إلى الناس يدعوهم إلى إخلاص التوحيد لله فمن رجع وأقر حقن عليه دمه وماله وذراريه، ومن أصر فقد أباح الله منه ما أباح لرسوله صلى الله عليه وسلم من المشركين "- وهكذا ينبغي أن يكون موقف الموحد من المشرك المقتصر على توحيد الربوبية كما كان موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من المشركين.

هل يقع في الربوبية شرك؟

والشرك يقع في الربوبية على النحو التالي:

أن الرب هو الملك: وأصل الملك هو الربط والشد – واملاك المرأة ربطها بزوجها – والملك هو النافذ في ملكه. وليس كل مالك ينفذ أمره وتصرفه فيما يملكه فالملك أعم من المالك. والله تعالى المالك المطلق المالكية على المالكين [16] جميعاً، وسيادته وسلطانه عليه جميعاً. فمن يعتقد أن لمخلوق ما ملكاً وسيادة وسلطاناً على الإطلاق بالا حدود، فقد أشرك في الربوبية مع الله تعالى- لذا يقول سبحانه: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ}[17] ويقول:{وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا}[18].

---

14 سورة الممتحنة آية 4 .

15 تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد 39 .

16 تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص 30 (بتصرف).

17 سورة الحشر آية 23 .

18 سورة المائدة آية 17 .

والرب وهو الخالق: وأصل الخلق التقدير – وقال تعالى :**{وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً}**[19] أي تقدرونه وتهيئونه – ومنه يقال: حديث مختلق: أي قدر تقدير الصدق، وهو كذب– فالخلق في اسم الله تعالى: وهو ابتداء تقدير النشء– فالله تعالى خالقها ومنشئها، وهو متممها ومدبرها[20] **{فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}**[21].

فمن يعتقد أن هناك من يخلق شيئاً غير الله سبحانه، فقد أشرك في الربوبية مع الله تعالى– لذلك يقول سبحانه **{أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ}**[22]، ويقول:**{هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ}**[23]، ويقول:**{أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ}**[24]؟ ويقول:**{أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ، أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ}**[25]؟

والرب هو البارىء: يقال برأ الله الخلق– فهو يبرؤهم برءا: إذا فطرهم والبرء خلق على صفة– فكل مبروء مخلوق، وليس كل مخلوق مبروءا إذ البرء من تبرئة الشيء من قولهم: برأت من المرض، وبرئت من الدين أبرأ منه– فبعض الخلق إذا فصل من بعض سمي فاعله بارئاً وفي البخاري من قول علي رضي الله عنه "لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة" وقال أبو علي الفارسي:" وهو المعنى الذي به انفصلت الصور بعضها عن بعض فصورة زيد مفارقة لصورة عمرو، وصورة حمار مفارقة لصورة فرس، فتبارك الله خالقاً بارئاً[26] – فمن يعتقد أن هناك من يبرأ شيئاً غير الله سبحانه فقد أشرك في الربوبية مع الله تعالى– لذا يقول سبحانه:**{هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ}** "[27].

والرب هو المصور: أي مصور كل صورة لا على مثال احتذاه، ولا رسم ارتسمه[28]. فمن يعتقد أن أحداً غير الله يصور الأشياء ويشكلها على ما يريد فقد أشرك في الربوبية مع الله تعالى– لذا يقول سبحانه **{هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ}**[29].

والرب هو الرزاق وهو الرازق : والرزق إباحة الانتفاع بالشيء على وجه يحسن ذلك[30]– قال تعالى:{ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً}[31]– فمن يعتقد أن أحداً غير الله يملك إجراء

---

19 سورة العنكبوت آية 17 .
20 مرجع الزجاج السابع ص 36، 37 (بتصرف).
21 سورة المؤمنون آية 14 .
22 سورة النحل آية 17 .
23 سورة لقمان آية 11 .
24 سورة الطور آية 35 .
25 سورة الواقعة آية 59 .
26 المرجع السابق ص 37 .
27 سورة الحشر آية 24 .
28 المرجع السابق ص 37 .
29 سورة الحشر آية 24 .

رزق للخلق أو منعه عنهم، فقد أشرك في الربوبية مع الله تعالى– لذا يقول سبحانه: {كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ}[32]، ويقول: {لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ}[33]، ويقول: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ}[34]، ويقول: {إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ}[35]، ويقول: {وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ}[36]، ويقول: {يا يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ}[37]؟.

وعلى هذا فإن ما نراه في هذا الزمن من خوف بعض الناس من رؤسائهم، فينافقوهم ويتملقون لهم خشية أن يقطعوا – في زعمهم– عنهم أرزاقهم، إنما هو شرك في الربوبية، فالله تعالى وحده هو الرزاق دون غيره– إذ يقول تعالى: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}[38].

والرب هو المبدي: والمبدي هو الذي ابتدأ الأشياء كلها، لا عن شيء فأوجدها – ويقال بدأ وأبدأ – ويقال بادىء ومبدىء[39] ويقول تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ}[40] فهذا من البادىء، ويقول تعالى: {إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ}[41] وهذا من المبدىء.

والرب سبحانه هو المبدي إذ هو الأول أي متقدم للحوادث بأوقات لا نهاية لها، فالأشياء كلها وجدت بعده، وقد سبقها كلها[42] ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في دعائه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه إذا أوى إلى فراشه ".. أنت الأول فليس قبلك شيء". فمن يعتقد أن هناك مبدياً غير الله تعالى لشيء من الخلق فقد أشرك مع الله تعالى في الربوبية.

---

30 المرجع السابق ص 38 .
31 سورة النحل آية 75 .
32 سورة البقرة آية 60 .
33 سورة الشورى آية 12 .
34 سورة الذاريات آية 22 .
35 سورة ص آية 54 .
36 سورة العنكبوت آية 6 .
37 سورة فاطر آية 3 .
38 سورة الذاريات آية 58 .
39 مرجع الزجاج ص 55 .
40 سورة الروم آية 27 .
41 سورة البروج آية 13 .
42 مرجع الزجاج ص 60.

والرب هو المعيد: والمعيد هو الذي يعيد الخلائق كلهم ليوم الحساب كما أبدأهم [43]– ويقول تعالى:{**وَهُوَ الَّذِي يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ**}[44].

والرب سبحانه هو المعيد إذ هو الآخر أي المتأخر عن الأشياء كلها ويبقى بعدها[45]– ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة السابق :" .. وأنت الآخر فليس بعدك شيء" – فمن يعتقد أن هناك معيداً– غير لله تعالى– لشيء من الخلق فقد أشرك مع الله تعالى في الربوبية.

والرب هو المحيي المميت : فالمحيي الذي أحيا الخلق بأن خلق فيهم الحياة، وأحيا الموات بإنزال الحيا وإنبات العشب، وعنهما تكون الحياة [46].

والمميت الذي خلق الموت كما خلق الحياة، لا خالق سواه، استأثر بالبقاء، وكتب على خلقه الموت [47].

وإذا كان الرب سبحانه هو وحده خالق الحياة وخالق الموت،فلم يخاف العبد من غير ربه جل وعلا؟ أليس يقول سبحانه {**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**}[48].

إن هذا الذي يمتلىء قلبه رعباً من المخلوقين، ويظن أن بيدهم إبقاء حياته أو إنهاءها، فتتلون معاملاته لهم نفاقاً بوجوه متعددة حفاظاً على حياته، فقد أشرك في الربوبية مع الله تعالى– فالله وحده هو الذي يملك الحياة إيجاداً وإعداماً. فيقول سبحانه :{**وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ**}[49]– ويقول:{**إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ**}[50]–ويقول:{**لا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ**}[51]. ويقول :{**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**}[52]. ويقول:{**وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ**}[53].

والرب هو النافع الضار : فمن يعتقد أن مخلوقاً ما دون الله يملك نفعه أو ضره فقد أشرك في الربوبية مع الله تعالى– يقول سبحانه: {**وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي**

---

43 مرجع الزجاج ص 56 .
44 سورة الروم آية 27 .
45 مرجع الزجاج ص 60 .
46 مرجع الزجاج ص 56 .
47 مرجع الزجاج ص 56 .
48 سورة الملك آية 2 .
49 سورة الحجر آية 23 .
50 سورة التوبة آية 116 .
51 سورة الدخان آية 8 .
52 سورة الروم آية 40 .
53 سورة الحج آية 66 .

آيَاتِنَا}[54]– ويقول: {وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي }[55]– ويقول:{وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي }[56]، ويقول:{وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ}[57] ويقول:{قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً }[58] ويقول:{قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعا }[59] ويقول تعالى عن إبراهيم حين عاب على قومه عبادتهم ما لا ينفع ولا يضر: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ, قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ، قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ, أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ}– يقول الرسول صلى الله عليه سلم لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: " يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإذا اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك جفت الأقلام، وطويت الصحف".

ومن ثم فلم الخوف من الخلق؟ ولم الجبن من قول الحق؟ ولم ارتعاد الفرائص ممن يتجبرون في الأرض ويتسلطون بغياً وعدواً؟ ما دام أن النفع والضر لن ينال أحداً إلا بما كتبه الله عنده في الأزل، ولا يملك مخلوق مهما أوتي من سلطان علمه أو تغييره؟ وما دام أن الخير والشر بيد الله سبحانه،وأنه مسبب كل خير، ودافع كل شر؟ إن إشراك الخلق في هاتين الصفتين (النفع والضر) مع الله تعالى أفسد على الناس قلوبهم وحياتهم وجعلهم يعيشون في رعب وظلام.

فالرب هو المعطي المانع : هو سبحانه يعطي ما أحب عطاءه تفضلاً وإصلاحاً، ويمنع ما أحب منعه حكمة وصلاحاً –[60] فمن يعتقد أن أحداً يملك العطاء أو المنع مع الله، أو يملك العطاء لما منع الله، أو المنع لما أعطى الله، فقد أشرك في الربوبية مع الله تعالى– يقول سبحانه: {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }[61] ويقول:{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ

---

54 سورة يونس آية 21 .

55 سورة هود آية 10 .

56 سورة فصلت آية50 .

57 سورة يونس آية 106.

58 سورة المائدة آية 76.

59 سورة الفتح آية 11.

60 مرجع الزجاج ص63 (بتصرف).

61 سورة فاطر آية 2 .

إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [62] ويقول:{وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } [63] – يقول:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } [64] – ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في دعائه عند رفعه من الركوع في الصلاة "ربنا لك الحمد، ملء السماوات وملء الأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد".

ومن ثم فلم التزلف والتملق للخلق؟ ولم يمحو الناس شخصياتهم فيذوبون في غيرهم ذلاهم وخضوعاً؟ ولم يتقربون إليهم بكافة الوسائل حتى غير المشروعة في صغار ومسكنة؟ لم كل هذا وهم لا يملكون لهم عطاء ولا منعاً؟ لو أنهم آمنوا أن العطاء والمنع بيد الله تعالى وحده، لعزت نفوسهم، وارتفعت أقدارهم، وعاملوا غيرهم على أن أنهم مثلهم عبيد لله يعطيهم الله تعالى حين يشاء، ويمنع عنهم عطاءه حين يشاء. ولرأينا تغيراً بيناً في سلوك الناس ومعاملاتهم بعضهم لبعض.

إنك لا تدخل الآن هيئة ولا مؤسسة حكومية أو غير حكومية في أي بلد– إلا من رحم الله وأعز بتطبيق شريعته – إلا وتجد المرؤوسين أقزاماً أذلاء فزعين هلعين لدى رئيسهم، تعرف في وجوههم ذل الانكسار، وهوان الاستسلام، وكأن حبلاً لف حول أعناقهم يجرهم به كما يهوى رئيسهم في أي لحظة من ليل أو نهار.

إن المسلم الموحد بعزة الله – لتوحيده بعزته، فلا يهاب أحداً من الخلق فيتملقه رغبة عطاء أو خشية منع، إذ قد آمن بأنه لا معطى لما منع الله، ولا مانع لما أعطى الله رب العالمين.

والرب هو المدبر لأمر هذا الكون كله: فمن يعتقد أن أحداً ما غير الله تعالى يملك تدبير الأمر في هذا الكون، ويصرف شئونه، فقد أشرك في الربوبية مع الله تعالى، وذلك كما يعتقد بعض الغارقين في الجهل أن هناك أقطاباً من الموتى وأبدالاً من الأولياء الصالحين لهم قدر من التصرف في حياة الناس فيستطيعون أن يولوا ويعزلوا، ويعطوا ويمنعوا، ويضروا وينفعوا – وأن لهم ديواناً يعقد كل ليلة تترأسه (السيدة زينب بمصر) ويلقبونها بأم هاشم، فتصدر منه القرارات والأوامر بنجاح فلان وفشل الآخر، وربح فلان وخسارة الآخر، وإشقاء هذا وإمراض ذاك، وإفقار هذا وإغناء غيره، والانتقام ممن يتقرر في الديوان أن ينتقم منه – لذلك تجد العوام عندما يمسهم ضر ينادون مستغيثين: "يا رئيسة الديوان يا أم هاشم " عليك بفلان أو بفلان، وانتقمي من هذا أو من ذاك – وغير ذلك مما يطلبون به تفريج الكروب لاعتقادهم أنها تقضي لهم في الديوان برئاستها إياه – كل ما يطلبون– إذ أن لها – مع غيرها من الأقطاب التصرف في

---

62 سورة آل عمران آية 26.
63 سورة الحديد آية 29.
64 سورة فاطر آية 15 .

الأمر، ولذلك اشتهر على ألسنة أولئك العوام قولهم (الأربعة المتصرفون في الكون) وبذلك سلبوا الله تعالى صفة التدبير وحكموا عليه بالعجز – تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً– إنه لا مدبر لأمر هذا الكون سوى الله تعالى– بقوله سبحانه: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ} [65]– ويقول:{يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ} [66] ولا مصرف لشئون خلقه إلا هو جل وعلا– يقول تعالى:{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [67]– ويقول:{إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ, وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ, وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [68].

فمن من الناس يستطيع أن يدبر أمر أي مخلوق– فضلاً عن أن يدبر أمر نفسه أو يصرف شأناً من شئونه؟

إن مشكلة هينة تطرأ للإنسان، فيقضي أياماً وليالي حائراً ذاهلاً، مفكراً، مستشيراً غيره، باذلاً كل طاقاته ليصل إلى حل لمشكلته فيعجز ويدعها كما طرأت معقدة، مستسلماً لها، معلناً فشله في حلها هو من معه جميعاً.

ويمرض المريض فيقف أمام مرضه عاجزاً، ويستدعي الطبيب ليعالجه حتى يبرأ من مرضه، فيفحصه الطبيب، ثم يصف له الدواء، ويقضي أياماً وليالي يتجرعه ولا يكاد يسيغه، ثم ينفد الدواء، ودواء ثان، وثالث ورابع، والداء متمكن في المريض، بل قد يزداد خطره ولا يبرأ. فيدع المريض مرضه كما هو، مستسلماً له، معلناً فشله في القضاء عليه هو ومن معه جميعاً.

فهل من يعلن استسلامه وعجزه التام هكذا فيما يطرأ على نفسه هو، يملك أن يدبر من أمر هذا الكون شيئاً؟.

إن العبد المؤمن الموحد يقر موقناً أن الله وحده هو مدبر كل أمور هذا الكون ومصرف شئونه– فهذا إبراهيم– خليل الله– عليه السلام يعلن ذلك في صراحة عبر عنها قوله تعالى: {قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ, أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ, فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلا رَبَّ الْعَالَمِينَ, الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ, وَالَّذِي

---

65 سورة الرعد آية 2.

66 سورة السجدة آية 5.

67 سورة البقرة آية 164.

68 سورة الجاثية آية 3، 4، 5.

هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ, وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ, وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ, وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ} [69].

وتدبير الله تبارك تعالى وتصريفه يتم فور الأمر به بحرفين (الكاف النون). يقول سبحانه: {وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [70] ويقول: {إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [71]– ويقول: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [72]– ويقول: {سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [73] ويقول: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [74].

فهل يملك إنسان مهما أوتي من قوة وثروة وسلطة أن يدبر أمراً في هذا الكون أو يصرف شأنه بقوله: كن فيكون ما يريد؟ لا يجرؤ أحد إلا أن يجيب بالنفي وعلى من يرون الإجابة بالإثبات أن يقولوا لأنفسهم ومن يلف لفهم: {هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.

مقتضى الإقرار بالربوبية:

ويقتضى الإقرار بالربوبية أن العبد لا يعتقد نفعاً ولا ضراً، ولا حركة ولا سكوناً ولا قبضاً ولا بسطاً، ولا خفضاً ولا رفعاً، ولا أعطاء ولا منعاً، ولا إحياء ولا إماتة، ولا تدبيراً ولا تصريفاً، إلا والله سبحانه وتعالى هو فاعله وخالقه، لا يشركه في ذلك ولا يملك واحد منه شيئاً.

كما يقتضى الإقرار بالربوبية أن يتوصل العبد بها إلى الإقرار بالألوهية فيجردها لله تعالى، فلا يصرف أي نوع من أنواع العبادات لغير الله تبارك وتعالى.

وقد حصر الله تعالى ذلك في قوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [75]، فقوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} إشارة إلى تجريد العبادة له سبحانه بما يقتضيه تفرده بالألوهية وقوله {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} إشارة إلى ما يقتضيه تفرده تعالى بالربوبية.

الرب هو المربي لخلقه:

والرب سبحانه وتعالى هو الخالق المنعم على خلقه، المربي والهادي لخلقه بنعمه ولما سأل فرعون موسى عليه والسلام {قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى} [76]؟ رد عليه موسى عليه السلام رداً موجزاً شافياً {قَالَ

69سورة الشعراء آية 75 إلى 82.
70 سورة البقرة آية 117.
71 سورة آل عمران آية 47.
72 سورة النحل آية 40.
73 سورة مريم آية 35.
74 سورة يس آية 82.
75 سورة الفاتحة آية 5.
76 سورة طه آية 49.

{رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى } [77] وإن من له أدنى بصيرة يتبين الفروق الواضحة بين الخالق سبحانه والمخلوق، منها ما يلي [78]:

1- أن الرب تعالى غني بنفسه عما سواه، ويمتنع أن يكون مفتقراً إلى غيره بوجه من الوجوه- لهذا جاء في الحديث القدسي "يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً ولا أبالى، فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً- يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً- يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان منهم مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر" [79].

2- أن الرب تعالى- وإن كان يحب الأعمال الصالحة ويرضى ويفرح بتوبة التائبين- ليس بحاجة إلى شيء من ذلك – ويبين هذا من الحديث لسابق. فضلاً عن أنه سبحانه هو الذي يخلق ذلك كله وييسره، فلا يحصل ما يحبه ويرضاه إلا بقدرته ومشيئته – والله تعالى يقول: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } [80]، ويقول:{وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} [81].

3- أن الرب تعالى أمر عباده بما يصلحهم ونهاهم عما يفسدهم كما قال قتادة رضي الله عنه:" إن الله لم يأمر العباد بما أمرهم به لحاجته ولا ينهاهم عما نهاهم عنه بخلاً عليهم بل أمرهم بما ينفعهم ونهاهم عما يضرهم بخلاف المخلوق الذي يأمر غيره بما يحتاج إليه وينهاه عما ينهاه بخلاً عليه".

4- أن الرب تعالى هو المنعم على عباده بإرسال الرسل إليهم وإنزال الكتب عليهم، وهو المنعم بالقدرة والحواس وغير ذلك مما يحصل العلم والعمل الصالح، وهو الهادي لعباده فلا حول ولا قوة إلا به. لهذا يقول أهل الجنة:{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ} [82]- ولا يقدر المخلوق ولا يقوى على شيء من ذلك.

77سورة طه آية 49.

78 مجموعة الفتاوى ص215، 216 بتصرف.

79 مجموعة الفتاوى ص 215، 216. بتصرف.

80 سورة الصافات آية 96.

81 سورة الإنسان آية 30.

82 سورة الأعراف آية 43.

5- أن نعم الرب المنعم تعالى على عباده أعظم من أن تحصى- يقول سبحانه: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا}[83] ولو قدر أن العبادة جزاء النعمة لم توف العبادة شكر قليل منها. فكيف والعبادة إنما هي من نعم المنعم سبحانه وتعالى؟.

6- أن العباد لا يزالون مقصرين محتاجين إلى عفوه تعالى ومغفرته، مهما اجتهدوا وعملوا، فلن يدخل أحد الجنة بما يعمله - يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لن يدخل أحد الجنة بعمله- قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل" . وما من أحد من العباد إلا وله ذنوب يحتاج فيها إلى مغفرة الله لها، ولو آخذهم بما يعملون، لأخذ الجميع أخذ عزيز مقتدر. يقول تعالى:{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً}[84].

ولما كان الرب سبحانه هكذا وحده خالقاً منعماً بكل أنواع النعم مدبراً لكل ما خلق مصرفاً لشئونه، وفهم ذلك عباده الصالحون فإننا نلمح أكثر دعواتهم جاءت بلفظ "الرب" إذا أن مطالبهم كلها تتضمنها الربوبية الخاصة التي تعنى تربيته تعالى بالوحي وبنعمة الإيمان، وبتوفيقهم وعصمتهم، ودفع الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه سبحانه، وخلاصتها تربية التوفيق لكل خير، والعصمة من كل شر، هذا فضلاً عن الربوبية العامة التي تعنى خلقه تعالى للخلق ورزقهم وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

ومن أمثلة دعاء عباد الله الصالحين لله تعالى بلفظ "الرب" ما ورد في القرآن العظيم فيما يلي:

1- قوله تعالى عن نوح عليه السلام:

{وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ }[85]- وقوله: {قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ }[86].

2- وقوله تعالى أيضاً عن نوح عليه السلام:

{قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً, فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلا فِرَاراً }-[87] وقوله: {قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلا خَسَاراً }[88]- وقوله : {وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ

---

83 سورة إبراهيم آية 34.

84 سورة فاطر آية 45.

85سورة هود آية 45.

86 سورة هود آية 47.

87 سورة نوح آية 5، 6.

عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً, إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلا فَاجِراً كَفَّاراً, رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا تَبَاراً} [89].

2- قوله تعالى عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام:

{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ, رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}.

3- وقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام:

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ, رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ, رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ, رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ, الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ, رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ, رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ}.

4- وقوله تعالى أيضاً عن إبراهيم عليه السلام:

{رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ, وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ, وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ، وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ، وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ، يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [90].

5- وقوله تعالى عن موسى عليه السلام:

{قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} [91].

6- وقوله تعالى أيضاً عن موسى عليه السلام:

{وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ} [92].

---

88 سورة نوح آية 21.

89سورة نوح آية 26، 27، 28.

90سورة الشعراء آية من 83-89.

91سورة المائدة آية 25.

7- وقال تعالى أيضاً عن موسى عليه السلام:

{وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ, قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ, قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ, وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ, وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ}[93].

8- وقوله تعالى أيضاً عن موسى عليه السلام:

{قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ, قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ }[94]- وقوله: {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[95] وقوله: {فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ }[96] ..وقوله: {قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ, وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ}[97].

9- وقوله تعالى عن عيسى بن مريم عليه السلام:

{قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}[98].

10- وقوله تعالى عن زكريا عليه السلام:

{كهيعص, ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا, إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً, قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً, وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً, يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً}[99].

وقوله: {قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً }[100]- وقوله: {قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً}[101].

---

92 سورة يونس آية 88.

93 سورة الشعراء آية من 10-14.

94سورة القصص آية 16، 17.

95سورة القصص آية 21.

96سورة القصص آية 24.

97 سورة القصص آية 33، 34.

98 سورة المائدة آية 114.

99سورة مريم آية 1-6.

100 سورة مريم آية 8.

101 سورة مريم آية 10.

11- وقوله تعالى أيضاً عن زكريا عليه السلام:

{هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ } [102]- وقوله: {قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ, قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلا رَمْزاً وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ} [103].

12- وقوله تعالى عن أيوب عليه السلام:

{وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [104].

13- وقوله تعالى عن لوط عليه السلام:

{رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ} [105].

14- وقوله تعالى أيضاً عن لوط عليه السلام:

{قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ} [106].

15- وقوله تعالى عن يوسف عليه السلام:

{قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [107].

وقوله:{رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [108].

16- وقوله تعالى عن محمد صلى الله عليه وسلم:{قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً} [109].

17- وقوله عن امرأة عمران:

{إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ, فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [110].

102سورة آل عمران آية 38.

103 سورة آل عمران آية 40-41.

104 سورة الأنبياء آية 83.

105 سورة الشعراء آية 169.

106 سورة العنكبوت آية 30.

107 سورة يوسف آية 33.

108سورة يوسف آية 101.

109 سورة الجن آية 20.

18- وقوله تعالى عن مريم:

{قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[111].

19- وقوله تعالى عن امرأة فرعون:

{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[112].

20- وقوله تعالى عن أولى الألباب:

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ, الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ, رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ, رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ, رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ}[113].

21- وقوله تعالى عن عباد الرحمن:

{وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً, وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً, وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً}[114].

وقوله تعالى أيضاً عنهم: {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً}[115].

22- وقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم:

"اللهم رب السموات السبع والأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين وأغنني من الفقر".

---

110 سورة آل عمران آية 35، 36.

111 سورة آل عمران آية 47.

112 سورة التحريم آية 11.

113 سورة آل عمران آية 190-194.

114 سورة الفرقان آية 63، 64، 65.

115 سورة الفرقان آية 74.

سعد ندا
مركز شئون الدعوة الإسلامية
بالجامعة الإسلامية